﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾ [البقرة: 10]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

تدَّرَجَ السِّياقُ مِنَ التَّصريحِ بوجودِ فِرقةِ النِّفاقِ؛ بذكرِ عَلَامَةٍ مِن علاماتِهم، وهي مخالَفةُ أقوالِهم لضمائِرِهم، إِلَى بَيَانِ سُلُوكٍ أخلاقيٍّ ناشئٍ عَن عدمِ إيمانِهم وهو المخَادَعَةُ، ثُمَّ كَشَفَ في هذه الآيةِ عن عِلَّةِ أقوالِهم وأفعالِهم وهي المرضُ المُتَمَكِّنُ مِنْ قُلُوبِهم، فوقع التَّناسبُ محقِّقًا إشباعَ نَهْمَةِ المُتَشوِّقِ لمعرفةِ سِرِّ تلكَ الأقوالِ والأعمالِ العجيبةِ؛ ليحصُلَ الاعتبارُ والاتِّعاظ.

قال الشّيخ محمد الطّاهر بن عاشور في وجه المناسبة: "استئنافٌ مَحْضٌ لِعَدِّ مساويهم، ويجوزُ أن يكونَ بيانيًّا لجواب سؤال مُتَعَجِّبٍ ناشئٍ عن سَماع الأحوال التي وُصِفوا بها قبلُ في قوله تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾؛ فإنَّ مَنْ يسمَعُ أنَّ طائفَةً تُخادِعُ اللّه تعالى وتُخادِعُ قومًا عديدين، وتطمعُ أنَّ خِداعَها يتمَشّى عليهم ثمّ لا تَشعُرُ بأنَّ ضررَ الخِداعِ لاحقٌ بها لَطائفةٌ جديرَةٌ بأنْ يَتَعَجَّبَ من أمرِها المُتَعَجِّبُ ويتساءلَ: كيفَ خطرَ هذا بخواطرها؛ فكان قولُهُ ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ بيانًا وهو أنَّ في قلوبهم خللًا تزايدَ إلى أنْ بلغَ حدَّ الأَفَنِ"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿مَّرَضٌ﴾: المَرَضُ: ضِدُّ الصِّحَّة، وهُوَ العلَّةُ تكون في البدنِ والعقل والقلب، ومِنْهُ قول اللّه تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ [النساء: 43]، ويُطلق على الشَّكِّ والنِّفاقِ، ومِنْهُ قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾[2]، ويُطْلَقُ على الفُجُور، ومِنْهُ قوله سبحانه: ﴿فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ﴾[3] [الأحزاب: 32]، ويَرِدُ المرضُ مرادًا به الظُّلْمَة، ثُمَّ يُسْتَعَارُ هذا الأخيرُ لِسَوَادِ القَلْبِ بالمَعْصِيَة[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/279.
(2) الأنباريّ، الزّاهر: 1/476.
(3) ابن الجوزيّ، نزهة الأعين النَّواظر، ص: 546.
(4) نشوان الحميريّ، شمس العلوم: (مرض).

وأصلُ المرضِ في كلِّ هذا: الضَّعْفُ[1]، فكلُّ مَا ضعُفَ فقد مَرِض، وَمِنْه قَوْلُهم: امْرَأَة مَرِيضَةُ النَّظَر، أَي: ضَعِيفَتُهُ، ويقال: مرَّض الرجلُ في كَلَامه؛ إذا ضَعَّفهُ[2]، ومِنْهُ عندَ المُحَدِّثين: صيغةُ التَّمريض.

2) ﴿يَكۡذِبُونَ﴾: الكَذِبُ: ضدُّ الصِّدْقِ؛ وهو الإخبارُ عنِ الشَّيءِ بخلافِ ما هو عَلَيْهِ مطلقًا، سواءٌ أَوقَعَ ذلك الإخبارُ عن عَمْدٍ أم خطَأٍ، إلَّا أَنَّ الإثْمَ في الشَّرْعِ مُعَلَّقٌ على ما وقعَ مِنْهُ عَمْدًا[3].

ويُطلقُ الكَذِبُ على مَعَارِيض الكلام؛ التي هي كَذِبٌ من حَيثُ ظَنُّ السَّامعِ، وصِدْقٌ من حَيْث قالَها القائلُ[4].

وفي لفظ ﴿يَكۡذِبُونَ﴾ قراءتان[5]:

حيث قرأ عاصم، وحمزة، والكسائيُّ وخلف العاشر: ﴿يَكۡذِبُونَ﴾ بالتَّخفيف، أي: إنهَّم كاذبون في قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

وقرأ نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾ بالتَّشديد، أي: يكذِّبون النبيَّ ﷺ والقرآن مرَّةً بعد مرَّة.

والتَّكذيبُ-بزنةِ التَّفعيلِ-: النِّسبةُ إلى الكذب؛ إذ (التَّفعيلُ) يأتِي لإرادةِ النِّسبة[6] ويأتي للمبالغة والكثرة.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أبَانَتِ الآيةُ عنِ العلَّةِ الخفيَّة للنِّفاقِ في المجتمَعِ المُسْلِم، وهو الضَّعْفُ الإيمانيُّ، والضَّعفُ أمام الشَّهوات، فتحصَّلَ من ذلك شكٌّ في قلوبهم في أمر النَّبيِّ ﷺ وما جاء به مِنْ عند الله تعالى، وحَيْرةٌ في ذلك؛ فلا هُم أَيْقَنُوا إيمانًا، ولا أَنْكَرُوا إِشْرَاكًا، فزَادهُمُ

(1) وأصلُ المرض عِنْدَ ابن الأعرابيّ: النُّقصانُ، ومنه: بَدَنٌ مرِيضٌ، أي: ناقِصُ القوّة، وقلبٌ مَرِيض، أي: ناقصُ الدِّينِ، وهو عِنْدَ التأمُّلِ يرجعُ إلى معنى الضَّعْفِ. ينظر: الأزهريّ، تهذيبُ اللّغة: (مرض).

(2) ابن دُرَيد، جمهرة اللّغة: (مرض).

(3) الزَّبيديّ، تاج العروس: (كذب)، والفيوميّ، المصباح المنير: (كذب).

(4) أبو موسى المدينيّ، المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: 3/27.

(5) ابن الجزري، النشر: 2/207، ابن زنجلة، حجة القراءات، ص: 88، ومكيّ ابن أبي طالب، الكشف: 1/228.

(6) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (كذب).

اللّه مرضًا مِنْ جِنْسِ مَرَضِهم السَّابقِ؛ فزادهم شكًّا وحَيرةً بما أنزل اللّه تعالى مِنَ الشَّرائعِ التي لَمْ تَكُنْ نَزَلَت قبلُ؛ فَانْضَافَ شكُّهُم الثَّاني إلى الأوّل، وهذه عقوبةٌ عاجلةٌ بسبَبِ كَذِبهم على اللّه تعالى، وكَذِبِهم على النَّاسِ بالخِدَاعِ، وبتَكْذِيبِهم بالشَّرعِ المُنزَّل[1].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

أَوْجُهُ فَصْلِ الْجُمْلَةِ عَمَّا قَبْلَهَا:

مـــرضُ قـلـوب المنافقين سببٌ في خـداعـهـم ونفاقهم

فُصِلَ قولُهُ تعالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ عمَّا قبله؛ ولهذا الفصْلِ ثلاثةُ أوجهٍ:

أحدها: أَنْ يَكُونَ اسْتِئنافًا محضًا؛ والقصدُ هو عَدُّ مساوئِ المنافقينَ.

وثانيها: أن يكون استئنافًا بيانيًّا؛ فهو جوابٌ عن سؤالٍ مُتَعَجِّبٍ نَشَأَ عن سمَاعِ أحوالِ المنافقين المذكورةِ في قوله سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ وذلك أنَّ مَن يَسْمَعُ أَنَّ قومًا يزعُمُونَ خداعَ اللّه تعالى من غَيْرِ شُعُورٍ مِنْهُمْ بأنَّ وَبَالَ الخِدَاعِ راجعٌ عَلَيْهِم؛ قَمِنٌ أن يَتَعَجَّبَ مِنْ شَأنهم، ويَتَسَاءلَ: كيف خطَرَ هذا بِخَاطِرِهم؟![2]

وثالثها: أَنْ تَكُونَ مُقرِّرةً لِمَا يُفِيدهُ قول اللّه سبحانه قبلُ: ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ من اسْتِمْرَارِهم على عدَمِ الإيمان[3].

وَأَوْضَحُ هذه الأوجهِ وأبيَنُها أَنْ يَكُونَ الكَلَامُ محمولًا على الاسْتِئْنَافِ البيانيِّ؛ فبقيَّةُ الأوجهِ داخِلَةٌ فيه بِنَوْعٍ مِنَ التَّأْوِيلِ، وهو يكشِفُ السَّببَ الذي لِأَجْلِه وقَعُوا فِيمَا وقعُوا فِيهِ.

تَقْدِيمُ الجارِّ والمجرور لِبيانِ أصالةِ مَرَضِ النِّفاقِ:

الـقـلـوب هي محـلُّ التـدبير والـــخـــداع، وتقديمها مشير إلى ذلك

قُدِّم مُتَعَلَّقُ الخبرِ في قوله ﷻ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ لِلاهْتِمامِ؛ إِذِ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 1/279-281، والواحديّ، الوجيز، ص: 92، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 3.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/278.

(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/42.

القلوبُ هي محلُّ التَّدبير لِلْخِدَاعِ، فلَمَّا كانت محلًّا له؛ كانَت محطَّ الاهتمامِ في الجوابِ[1]، ولبيانِ أنَّ مرَضَهم ليس طارِئًا، ولا متعلِّقًا بمصلَحةٍ مُؤقَّتةٍ.

تَنْكِيرُ كلمةِ ﴿مَّرَضٌ﴾ لبيانِ النَّوعِ:

نوعُ مرضِ النِّفاقِ يلزمُ عنه الفسادُ الفرديُّ والمُجتمعيُّ

نُكِّرَت كلمةُ ﴿مَّرَضٌ﴾ في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾؛ لِبَيَان النَّوعيَّةِ، والمعنى: في قُلُوبِهم نَوْعٌ مِنَ الْأَمْرَاضِ غَيْرِ المتعارَفِ عَلَيْهِ مِنَ الأمراض؛ وهو مرضُ النِّفاقِ والشَّكِّ[2]، ويَحْتَمِل أن يَكُونَ التَّنكير لِلتَّعظيم، أي: مرضٌ عظيمٌ[3]، والأوَّلُ هو الأنسَبُ فيما يتعلَّقُ بالنِّفاقِ، إذ لم يُعرفْ بمعناه القرآنيِّ قبلَ الإسلامِ، والثَّاني لازِمٌ عنِ الأوَّلِ؛ فإنّ مثلَ هذا النَّوعِ من الأمراضِ، عظيمٌ في أثرِه وفسادِه الفرديِّ والمُجتمعيِّ.

بيان الاستعارة في لفظ ﴿مَّرَضٌ﴾:

اسْتِعَارَةُ الْمَرَضِ لِبيانِ سُوءِ الِاعْتِقَادِ وأنَّه مُؤدٍّ إلى الهلاكِ

إذا قِيلَ: إنَّ الأصلَ في المرضِ هو الخَلَلُ في الأبدانِ؛ فَإِنَّ اسْتِعْمَالَهُ هَهنا مِن بابِ الاسْتِعَارةِ؛ فشُبِّهَ ما في قُلُوبِهم مِنَ الجَهْلِ وسُوءِ الاعتقادِ وشكِّهم فيما نَزَلَ مِنَ الوحي ونحوِ ذلكَ بالمرضِ؛ بجامِعِ أنَّ كُلًّا منهما مُؤَدٍّ إلى الهلاكِ[4].

احتمالُ الْجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ والإِنْشَائِيَّةِ:

مرض المنافقين في ازدياد بسبب ظهور الإسلام وعلوّ شأنه

الجملةُ الخبريَّةُ -﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾- معطوفةٌ على قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾، وهو مُتمِّمٌ لدفع التَّعجُّبِ النَّاشئِ عَنِ الوُقُوف على أوصاف المنافقين في قوله سبحانه: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[5].

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/279.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/42.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/279.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّلِيم: 1/41-42.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/278.

أَوِ المرادُ الإخبارُ عَنْ زيادةِ مرضهم بأنَّهُم في واقعِ الأمر كذلك؛ "بِمَا يتجَدَّد لِرَسُول اللهِ ﷺ مِنَ النِّعَم، ويتكَرَّر له مِنْ مِنَنِ اللهِ الدُّنيويَّة والدِّينيَّة"[1].

جَوازُ الدُّعاءِ عَلَى الـمُنَافِقِينَ من جِنسِ كُفرِهم لفظًا ومعنًى

احتمَلَ بعضُ أهلِ العلم أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ إنشائيةً في المعنَى، يُرادُ بها الدُّعاءُ عَلَيْهِمْ بِزِيَادَةِ الشَّكِّ وتَتَابُعِ النِّفاق[2]، ولم يَرْتَضِهِ ابنُ عاشور؛ فقد قال مُسْتَدْرِكًا عَلَى هذا القول: "وهو تفسيرٌ غيرُ حسَنٍ؛ لأنَّهُ خلافُ الأصل في العطف بالْفَاءِ، ولأنَّ تَصَدِّيَ القرآنِ لِشَتْمِهِم بذلك ليس مِن دَأْبِه، ولأنَّ الدُّعاء عَلَيْهِمْ بالزيادة تُنَافِي ما عُهِد مِنَ الدُّعاء لِلضَّالِّين بالهداية"[3].

وَوَجْهُ الدُّعاء عِنْدَ مَنْ يقُولُ به: أَنْ يكونَ هذا تعليمًا مِنَ اللهِ تعالَى لِعِبَادِهِ بِجَوَاز الدُّعاء علَى المنافقين[4]، لاسيَّما أنَّ الدُّعاءَ عَلَيْهِم من جنسِ كُفرِهم لفظًا ومعنًى، والقولُ بأَنَّ الدُّعاءَ عَلَيْهِمْ ليس مِنْ دأب القرآن فيه نَظَرٌ، فقد وَرَدَ: ﴿وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: 68]، وَ﴿قَتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون: 4]، وهو في القرآنِ كثيرٌ، نعم قد يُؤخذُ على القولِ أنَّه جَعَلَ الخبرَ المعطوفَ بالفاءِ دعاءً، لكن ممَّا يُقبلُ به هذا الوجهُ أنَّه تفسيرُ معنى لا تفسيرُ إعرابٍ؛ فإن لم يوافقِ الصَّنعةَ، فهو موافقٌ للمعنَى.

إِسْنَادُ فعل الزِّيَادَةِ إِلَى اللهِ تَعَالَى حَقِيقِيٌّ لَا مَجَازِيٌّ:

إسنادُ زيادةِ مَرَضِ قلُوبِ المُنافقين إلى اللهِ سُبحانه في قولِه تعالَى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ إسنادٌ حقيقيٌّ، يُفيدُ تَمَامَ قدرةِ اللهِ سبحانه على الْعِبَادِ ظاهرًا وباطنًا ما لَا يُفِيدُهُ القولُ بِالْمَجَازِ العقليِّ مع فَسَادِ إرادتِهِ هَهُنَا، وهو جزاءٌ مِنَ اللهِ على إِعْرَاضِهم عَنِ الْوَحْيِ المُنزَّلِ.

(1) القِنَّوْجِيّ، فتح البيان: 1/92.
(2) الماورديّ، النُّكت والعيون: 1/74.
(3) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/282.
(4) إسماعيل حقِّي، روح البيان: 1/56.

سِرُّ نسبةِ زِيَادَةِ الْمَرَضِ إِلَى الْمُنَافِقِينَ دُونَ تخصيصِه بقُلُوبِهِمْ:

الإشـــارةُ إلى التَّفسيرِ العلميِّ المعاصِرِ بتأثيرِ القـلـوبِ على الأبدانِ

نُسِبَتِ الزِّيادةُ إلى المُنَافقين دون القلوبِ، فقال ﷻ: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ دون (فَزَادَهَا اللهُ مَرَضًا)؛ لأحد احتِمَالَيْن:

أحدهما: أنَّ فيه حذفَ مضافٍ، فيكون مِن إيجاز الحَذْفِ، والتَّقدير: فزادَ اللهُ قلوبَهُمْ مرضًا، وقرينَةُ الحذفِ ذكرُ القَلْبِ أوَّلَ الآيةِ ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾.

والآخر: أنَّ المرادَ زِيَادَةُ ذَوَاتِهِمْ مرضًا؛ "لأنَّ مرضَ الْقَلْبِ مرضٌ لسائرِ الجَسَدِ، فَصحَّ نِسْبَةُ الزِّيادة إلى الذَّوات"[1]، والنُّكْتَةُ هَهُنَا: التَّنبيهُ على أنَّ ذواتِهم مريضةٌ، وهو ما يُؤكِّدُ أثرَ المرضِ النَّفسيِّ والقلبيِّ في الأبدانِ، وهو ما كشفتْ عنه الدّراسات العلميَّة المعاصرةِ.

نُكْتَةُ تَنْكِيرِ الْعَذَابِ لبيانِ عَظَمةِ عذابِ الْمُنافِقِين:

نُكِّرَ العذابُ في قوله سبحانه: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أي: عذابٌ عظيمٌ في ألمه، أَوْ نوعٌ مِنَ العذابِ ليسَ مِنَ الأنواع المعهودةِ لا يَعْلَمُ كُنْهَهُ إلَّا اللهُ ﷻ، وثَمَّة تلازُمٌ بين دلالة التَّنكيرِ على بيانِ النَّوعيَّةِ وَدِلَالتِهِ على التَّعْظِيم.

سِرُّ تَقْدِيمِ مُتَعَلَّقِ الْخَبَرِ:

تقـديـم الجـار والمجـرور (لهم) يفيد اخْتِصَاصَ الْمُنَافِقِينَ بِنوعٍ مِـنَ الْـعَـذَابِ الْأَلِيمِ

قُدِّمَ مُتَعَلَّقُ الخبرِ في قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾؛ للدّلالة على التَّشويق والاخْتِصَاص على طريقِ القصرِ الادِّعائي، وفيهِ الْإِشَارَةُ إلى كَوْنِهم أحقَّاءَ بالعَذَابِ الأَلِيم؛ نَظَرًا لاخْتِصَاصِهِم بِجُرْمِ النِّفاقِ الذي فاق الكفرَ.

فهذا النَّوْعُ مِنَ العَذَابِ خاصٌّ بِهِمْ، ومَنْ دُونَهُمْ مِنْ أصحابِ المَعَاصِي ممَّن تُوُعِّدَ بالعذابِ الأليم؛ لَهُمْ عَذَابٌ دُونَ عذابِ الْمُنَافِقِينَ.

(1) أبو حيَّان، البحر المحيط: 1/97.

سِرُّ وَصْفِ الْعَذَابِ بِصيغةِ فعيلٍ:

﴿أَلِيمٌ﴾ في قوله ﷻ: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على وزنِ (فَعِيل)، وَتأتي هذه الصِّيغةُ (فعيلٌ) بِمَعْنَى اسمِ الفاعل وبمعنَى اسمِ المَفْعُول، واللَّفْظُ في الآية يَحْتَمِلُ الوَجْهَيْن:

(ألـيـم) تحمل بلوغ الغاية في الإيـلام، وفيها تـهـديـد شديد للمنافقين

الأوَّل: (أَلِيمٌ) بمعنى: مُؤْلِم، أي: عذابٌ يُوجِعُ مَن يقَعُ عَلَيْهِ[1].

والآخَرُ: (أَلِيمٌ) بمعنى مُؤْلَم، ويكون مَجَازًا عقليًّا؛ لأنَّ المُؤْلَمَ هو المُعذَّبُ لا نَفسُ العذَابِ[2]، والقَصْدُ مِنْهُ بُلُوغُ العذابِ الغايةَ في الْإِيلَامِ[3].

وكِلَا الوَجْهَيْنِ حَسَنٌ، ولا مانِعَ مِن حَمْلِ (أَلِيم) عَلَيْهِمَا معًا؛ حَمْلًا للاحتمالَيْن على مَعْنَيَيْهِما البَليغِ، والتَّعبيرُ بالأليم جاءَ ليشملَ المحتملات، وَليكونَ أَرْسَخَ في التَّهديدِ؛ فالألمُ هو صُلْبُ العذاب.

تَوْجِيهُ الْمُتَشَابِهِ اللَّفْظِيِّ:

الْمُـغـايـرَةُ بَـيْنَ أَوْصَافِ العَذَابِ تَابِعٌ لِلتَّغايُرِ بينَ عِلَلِه

وصفُ عذابِ الكافرينَ بالعَظِيم هُوَ الأنسَبُ؛ ذَلِكَ أنَّ الكافرين لـمَّا كان كفرُهم واضِحًا ظاهرًا؛ ناسَبَ ذلك العذابَ الواضِحَ الظَّاهِرَ وصْفُ العَظِيم، أمَّا المنافقُونَ؛ فلـمَّا كان نفاقُهم كُفْرًا خفيًّا، وآثارُه مؤلمةً لِلْمُجْتَمَعِ المُسْلِمِ لِخَفَائِهَا وانطوَائِها؛ ناسَبَ وصفَ عذابِهم بالأليم؛ لأنَّ الأليمَ وَجَعٌ غيرُ ظاهِرٍ كالعَظِيم، فَنَاسَبَ كلَّ مقامٍ لفظٌ يخصُّه ويتَّسِقُ معَ مَعْنَاهُ.

بلاغَةُ الْبَاءِ في جمعِها بَيْنَ معنَى السَّبَبيَّةِ والتَّهكُّمِ والمقابلة:

يحتمِل حرفُ الْبَاءِ في قوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ أَنْ يَكُونَ للسَّبَبِيَّة، والمعنى: أنَّ لَهُم عذَابًا أليمًا بِسَبَبِ كَذِبِهم[4].

(1) السَّمرقنديّ، بحر العلوم: 1/27.
(2) ابن عاشر، التَّحرير والتَّنوير: 1/282.
(3) البيضاويّ، أنوار التَّنزيل: 1/45.
(4) الجرجانيّ، درج الدُّرر في تفسير الآي والسُّور: 1/106.

ويَحْتَمِل أَنْ تكُونَ لِلْمُقَابَلَة، أي: أنَّ لَهُمْ عذابًا أليما بمُقَابَلة كَذِبهم[1]، وبَاءُ المُقَابَلَة تَدْخُلُ علَى الْأَثْمَانِ ومَا في حُكْمِها، فيَكُونُ قَدْ نُزِّلَ كَذِبُهُم منزلةَ الثَّمَنِ على وجه التَّهَكُّم، فكأَنَّهم بَذَلُوا لِلْعَذَابِ الأليم ثمَنًا وهُو كَذِبُهُم[2].

فَائِدَةُ ذكرِ ﴿كَانُواْ﴾ في بيانِ اسْتِمْرَارِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى الْكَذِبِ:

الكذب راسخ في كيان أهل النفاق

﴿كَانُواْ﴾ مِنْ قوله سبحانه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ دالَّةٌ على دوَام كَذِبِهِمْ وَاسْتِمْرَارِهم فِيهِ[3]، كالتِي في نَحْوِ قولِ اللّه تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: 96]، وقوله جلَّ وعلَا: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: 72].

دلالة الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالِاسْتِمْرَارِ:

المنافقون مستمرّون في الكذب، لا ينفكّون عنه

انضمَّ إلى دلالة ﴿كَانُواْ﴾ على الدَّوام: الإتيانُ بِـ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بصِيغَةِ الْفِعْلِ المُضَارِعِ؛ فأفَادَ مَجْمُوعُ ذلك أنَّهم مُسْتَمِرُّونَ ومُداومُون على الكَذِبِ، وَأَنَّ ذلك مُتَجَدِّدٌ فِيهِمْ؛ حتَّى صَارَ طَبْعًا لَهُمْ.

والتَّعبيرُ عن ﴿كَانُواْ﴾ بِأَنَّها مُقْحَمَةٌ[4]: خطأٌ في اللَّفْظِ.

سِرُّ حَذْفِ الْمَعْمُولِ في القراءَتَيْن:

بَيَانُ شَنَاعَةِ كَذِبِ الْمُنَافِقِينَ وَتَكْذِيبِهِمْ

حُذِفَ معمولُ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ مِنْ قوله ﷻ: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾، والتَّقْدِيرُ: علَى اللّه تعالَى وعلى الرُّسُلِ[5]، وَحُذِفَ اسْتِعْظَامًا؛ قَصْدًا لِتَشْنِيعِ كَذِبِهِمْ؛ إِذْ لا يكادُ يُتَصَوَّرُ الكذبُ عَلَيْهِمْ.

وقُرِئَ: ﴿يُكَذِّبُونَ﴾[6]، والمعمولُ مَحْذُوفٌ[7]، وتَقْدِيرُه كسَابِقِه، ومجموعُ القِرَاءَتَيْن دالٌّ على شَنَاعةِ كَذِبِهم وتَكْذِيبِهم.

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/42، والقاسميّ، محاسن التَّأويل: 1/251.
(2) الخفاجيّ، عناية القاضي: 1/322.
(3) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 1/127.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السَّليم: 1/42.
(5) الأخفش، معاني القرآن: 1/42.
(6) قرأ بها نافعٌ وأبو جعفر وابنُ كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن عامر، ينظر: ابن الجزري، النشر: 2/207.
(7) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 1/283.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»